

عبدالله بن أحمد المناعي

سيرة العطاء والكرم اللامحدود

هو عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد المناعي التميمي ، من أهالي الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ، ومن وجهاء دولة الإمارات العربية ومن تجار اللؤلؤ المشهورين ، وحسب رواية قريبه السيد آدم بن احمد بن علي المناعي أحد أعيان رأس الخيمة : أنه توفي عام 1359هـ الموافق 1940م عن عمر ناهز 96عاما، أي أن مولده يكون في عام 1844م . تزوج من أربع نساء أنجب منهن أحد عشر ولداً وابنتين ، زوجته الأولى هي نورة بنت إبراهيم بن علي المناعي ، وأنجب منها : سلطان وراشد ، والثانية ، علياء ابنة عم أبيه ، سلطان بن محمد المناعي صاحب كتاب أوزان اللؤلؤ ، التي أنجب منها : عبدالرحمن وسالم وبدر وأحمد وعائشة . والثالثة صالحة وأنجب منها : عبدالعزيز وحسن ، وآخرهن شمسة ، وأنجب منها : يوسف وعبدالمحسن ونجم ومريم . واشتهر من أولاده (سلطان) الذي صار قاضيا ورجل علم بارز، وقضى حياته متنقلا بين الشارقة وميناء لنجة على الساحل الشرقي للخليج العربي ، وكان صديقا للشيخ احمد بن حجر البنعلي ، أشهر قضاة الإمارات ومن أبرز علمائها ، والذي عاش زمنا في رأس الخيمة . وتوفي سلطان في بلدة الظاهرية ببر فارس ، وقبره مايزال هناك ، وقد كتب عليه (هذا قبر الشيخ الجليل سلطان بن احمد بن عبدالله المتوفي عام 1364هـ الموافق 1945م .(1)

عمل عبدالله بن أحمد في تجارة اللؤلؤ التي ورثها عن والده احمد بن علي بن محمد المناعي ، وأسس مع أخيه محمد شركة بعنوان : (عبدالله بن أحمد المناعي وشركاه) . وعرف عنهما النشاط الواسع في مجال التجارة في المحيط المحلي ، وامتد تعاملهما إلى الهند خاصة ، وفرنسا واليمن وزنجبار ، وإلى غيرها من بلدان العالم ، حيث كان الأخوان يعملان سوياً في مكتبهما بالشارقة ، ولهم وكلاء في بومبي ، من أبرزهم : عبدالرحمن بن حسن المدفع ، وهو من كبار تجار الإمارات ، وعبداللطيف بن محمدالرزاق ، من تجار الكويت المعروفين (توفي 1955م) ، اللذان توليا إدارة معاملتهما في تجارة اللؤلؤ ، حيث كانا يقيمان هناك ، وعُرف عنهما الأمانة والصدق في المعاملة (2).

وعايش عبدالله عهدَ عددٍ من حكام الشارقة ، كان آخرهم الشيخ سلطان بن صقر القاسمي (الثاني) ، الذي تولى حكم الشارقة عام 1924م وتوفي عام 1951 ، وكان أديبا وشاعرا ، وراعيا متحمسا للثقافة ورجالها ، وممن أسهموا في بناء وعي ثقافي متميز . وكانت عائلة المناعة من المقربين إليه ، ولهم علاقات نسب وقرابة بعائلته.

وكان عبدالله وأخوه محمد من الشخصيات الوطنية البارزة ، حيث عُرف عنهما غيرتهما على وطنهم ، ويُذكر لهم مواقفهم الجريئة ومبادراتهم الشجاعة في حل عدد

من الصراعات السياسية والمشكلات الإجتماعية ، التي كانت تنشأ بين أفراد العائلات الحاكمة من جهة ، وبين الجماعات القبلية المتنافسة من جهة أخرى .

سافر عبدالله إلى عدد من البلدان العربية والأجنبية ، وكان كثير التردد على الهند بحكم معاملاته التجارية ، حيث كانت بومبي أكبر سوق لتجارة اللؤلؤ في العالم، يقصدها كبار التجار وخاصة من بلدان الخليج العربي ، وكان البعض منهم يقيم فيها فترات طويلة . وكوّن فيها عرب الخليج والجزيرة العربية جالية كبيرة ، شكلت مجتمعا نشطا وحيويا في المجالات التجارية والثقافية والإجتماعية ، وخلف للأجيال اللاحقة تاريخا وتراثا مهما ، لم يلتفت إليه الدارسون بعد . وكان عبدالله واحدا ممن كان لهم شأن فيه وممن تركوا بصماتهم الخيرة على صفحاته المجيدة .

في بومبي إرتبط عبدالله بعلاقات صداقة مع عدد كبير من المترددين على عليها ؛ منهم من جاء بغرض التجارة ، أو السياحة ، أو من وفد للمشاركة في المحافل الدينية أو السياسية أو الثقافية ، أو لطباعة مؤلفاته ؛ حيث تتوافر دور الطباعة باللغة العربية . ومن أبرز علماء الدين والدعوة الذين إلتقى بهم هناك حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الشيخ اسحاق بن عبدالرحمن صاحب كتاب (أرجوزة في العقيدة) ، الذي قام بزيارة إلى الهند عام 1310 هـ 1892م ، ونشأت بينهما علاقة ود وتقدير متبادلين .

وفي كتابه (أرجوزة العقيدة) أشاد الشيخ إسحاق في خاتمته بمساعدة إثنين من المنانعة ، هما : سلطان بن محمد بن علي ، الذي قام بطباعة الإرجوزة على نفقته ، وعبدالله بن أحمد ، الذي ساعده على إنجازها ، حيث قال عنهما :

".. وقد تصدى لمباشرة طبعتها وتصحيحها من انتهى في الحفظ إلى غاية واعتنى بمراعاة اللفظ أتم عناية حميد المساعي المجاهد في إشاعة الدين والساعي الشيخ سلطان بن محمد المناعي التميمي و الحنبلي ، وذلك بإشادة الشلب الأديب والتقي الأريب البائل جهده في أن يكون له في الخير نصيب ذي المعتقد السليم والخلق العظيم عبدالله بن أحمد بن علي المناعي التميمي ، نزيل بلدة الشارقة من نواحي عمان ، عمّر الله سوحها بسحاب السنة والقرآن ، وحرّرها من رق عبّاد الصلبان ، وذلك في سفره إلى بمبي سنة 1310 من الهجرة ، حين اتفق بناظمها المنكور، ودارت بينهما كؤس المحبة الإيمانية والحبور ."⁽³⁾

ونستخلص من كلمة الشيخ إسحاق أن عبدالله كان على علاقة صداقة مع قريبه سلطان ، وهو الذي أشاد بالأرجوزة ، ورغب سلطان بأهمية طباعتها ، وكان آنذاك شابا في الأربعينات من عمره ، أما قريبه سلطان فكان معمرا جاوز السبعين من السنوات ، حيث وصفه الشيخ إسحاق بـ (الشيخ) وهي تعني كِبَر المقام العلمي وكِبَر السن ، وأشار جهده اللغوي والعلمي في مراجعة المخطوطة ، بينما وصف عبد الله بـ (الشاب الأديب ذي المعتقد السليم) ، وبَيَّن أنه نزيل الشارقة ، مُغفلا في الوقت نفسه ، ذكر موطن سلطان ، مما يعني أن عبدالله كان في سفرة عادية إلى بومبي ، أما سلطان فوجده من المقيمين بها !. كما خص الشارقة بالدعاء قائلا " عمّر الله

سُوحها بسحايب السنة والقرآن وحررها من رق عبّاد الصلّبان " وهي إشارة إلى أنّ هذا العام (1892م) من شهر مارس الموافق شعبان 1309هـ) فُرِضَتْ فيه على البحرين وإمارات ساحل عمان توقيع إتفاقية الحماية المانعة ، التي تنص على قيام بريطانيا بتمثيلها دوليا في الشؤون الخارجية ، وهي بداية سيطرة استعمارية كاملة ! لذا فإن وصف الشيخ إسحاق للإتفاقية بـ (رق عبّاد الصلّبان) كان معبراً عن حقيقتها فعلا !. وأن تمييز الشارقة عن غيرها بدعاء التحرير والتعمير: "عَمَرَ اللهُ سوحها بسحايب السنة والقرآن" هو تلميح إلى رفض أهالي الشارقة لهذه الإتفاقية الجائرة ، وكذلك ، فيها إشارة إلى عمق العلاقة الدينية الخاصة التي تربط بين بلدي الصديقين . وأخيرا يذكر الشيخ اسحاق أنه التقى عبدالله في بومبي . واصفا هذا اللقاء بالودي الذي تخلله حوار ديني محبب .

وعُرف عن عبدالله كرمه وعطاؤه المادي والإجتماعي اللامحدود، الذي كانت حكاياته تدور على السنة كل من عرفه أوخالطه في لقاء أو في مجلس أو في رحلة سفر ، وكان لديه في رأس الخيمة منزل به مجلس يستقبل فيه زواره صباحا ، ومساء بعد صلاة المغرب ، حيث يقدم لهم العشاء ، وما تزال آثار المنزل باقية حتى اليوم في رأس الخيمة . وله كذلك مجلس في لنجة حيث كان يتردد عليها كثيرا ، وكانت لنجة ميناءً تجاريا مزدهرا تمرُّ به أغلب البواخر التي تعمل بين الهند وموانئ بلدان الخليج . ومما يجدر ذكره عن مظاهر كرم عبدالله ، أنه عندما كان يسافر إلى الهند، يمنع كلَّ مَنْ يسافر معه على الباخرة من إعداد طعامه الخاص ، ويقوم هو بكفالة إطعامهم جميعا طوال مدة الرحلة ، حيث يصطحب معه عددا من الخدم .

ويقال أنه خلال تواجده في الهند كان يقضي جزءاً من إقامته في مدينة ميسور جنوب بومبي ، التي تُعدُّ من المدن السياحية الجميلة والمشهورة بزراعة خشب الصندل الذي يستخرج منه أفخر أنواع البخور . وله بها منزل ومجلس عامر يرتاده الكثيرون من التجار والزوار العرب وغيرهم من المقيمين في مدن الساحل الغربي للقارة الهندية .

عاش عبدالله بن أحمد عيشة هنية بفضل تجارة اللؤلؤ التي أكسبته ثروة طائلة ، و ظل محافظا على طباعه السجية وكرمه الكبير وحبه للخير ، ولم يخطر على باله أنّ صروف الدهر قد تداهمه يوما وتقضي على معظم ثروته !. فلم يكن عبد الله ذا نظرة بعيدة في أمور التجارة - بالرغم من نجاحه فيها - كي يتحسب لمخاطر التجارة وتقلبات أسواقها ، وذلك بسبب مايستجد من تقدم في العلم وما ينتاب العالم من حروب وسياسات إقتصادية ، تؤثر فيها سلبا أو إيجابا على حركتها .. فجاءت نكبة الغوص ، على غير مايتوقع ، لتقوّض تلك النعمة الكبيرة ، وتدفعه إلى خسارة جزء كبير من أموال تجارته . إن دخول اللؤلؤ الصناعي إلى الميدان التجاري عام 1912م ، لم يعِ مخاطره المستقبلية معظم تجار سوق اللؤلؤ الطبيعي ، ومنهم عبدالله الذي استمر في معاملاته التجارية آملا عودة الإزدهار إليها !.. غير أنه اقتنع ، بعد فوات الأوان ، بأن اللؤلؤ الطبيعي شارف عصره على الإنتهاء ، حيث ظهرت

ملاحظه جلية في تباطؤ حركة بيعه وشرائه ، بسبب ضعف الإقبال على المتاجرة به وعلى اقتنائه ، فصار يتكدس في الخزائن ، وتراكت الديون على تجاره ، مما أدى إلى إفلاس عدد كبير منهم ، وتحول عدد آخر إلى أعمال تجارية أخرى ! .

كان عبدالله بعد فقده معظم ثروته يردد حكايته مع صديقه العدني (بازرعة)، كان هذا يعمل في تجارة الأخشاب ومستلزمات السفن وأدوات بناء المنازل ، وفي إحدى زيارات عبدالله لمدينة عدن، عرض على صديقه مشاركته في صفقة تجارية، مؤكدا له أن التعامل في تجارة اللؤلؤ تأتي بربح أكبر واسرع من التجارة التي يعمل بها حاليا ! ووافق (بازرعة) بعد إلحاح من صاحبه بالمشاركة بمبلغ (لكين روبية)، أي مئتي ألف روبية !.. وفوجئ بعد مدة وجيزة بعبدالله وهو يقدم له عدّة صناديق مليئة بالنقود ، قائلا له هذه أرباحك أنت بضعف مادفعت !. ولما رأى عبدالله علامات السرور والتعجب بادية على محيا صديقه بادره بالقول: مارأيك بالمشاركة في صفقة جديدة؟.. ولم يتوقع عبدالله رد صاحبه بالقول: هذا يكفيني !!.. فطلب منه عبدالله معرفة سبب امتناعه؟! فأجابه (بازرعة) بحكمة الخبير المحنك في التجارة قائلا: الذي ربّحك كبير بهذه السرعة ، تكون خسارته في المرات القادمة أضعاف أضعاف أرباحه ، وقد تؤدي بي إلى الإفلاس !.

عاش عبدالله فيما بعد حياة عادية ، راضيا بالرزق الذي تبقى لديه من تجارة اللؤلؤ، متأملا ذكرياته عن تلك الأيام الجميلة المليئة بالحيوية والحبور ، ولا ينسى خلالها تذكّر حكايته مع صديقه التاجر العدني الذي لم يأخذ بحكمته في الوقت المناسب !.. أما للأجيال القادمة فترك عبدالله سيرة حميدة وسجلاً حافلاً بالعمل الخير والنبيل .

أحمد علي المناعي

المراجع:

- 1- مقابلة مع الوجيه آدم بن أحمد بن علي المناعي - رأس الخيمة بتاريخ 2012/11/10م
- 2- وثائق المراسلات التجارية المحفوظة لدى عائلة صاحب السيرة
- 3- نسخة مصورة للصفحة الأخيرة من (أرجوزة العقيدة) للشيخ إسحاق بن عبدالرحمن ، من محفوظات الأستاذ سلطان الغنيم - الرياض .

الملحقات :

* نماذج من المراسلات التجارية المحفوظة .

* صورة لصفحة الخاتمة في كتاب (أرجوزة العقيدة)